# دعوة عيسى (عليه السلام)

## في الكتاب والسنة

إعداد

د. سليمان بن قاسم العيد

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

مُحَرَّمٌ صَفَرٌ ربيع ثانٍ مُحَرَّمٌ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:-

فإن دراسة سير الأنبياء في الدعوة إلى الله، خير طريق للاقتداء بهم والسير على نهجهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبخاصة أولي العزم من الرسل[1] (عليهم الصلاة والسلام) الذين من بينهم عيسى ابن مريم (عليه السلام).

ودعوة عيسى (عليه السلام) جديرة بالبحث والدراسة لكونه من أولي العزم من الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ولما تميز به من بين الرسل أنه يدعو في زمانين مختلفين ولطائفتين من الناس كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ولذا أردت في هذا البحث الموجز أن أتطرق لدعوة عيسى (عليه السلام) من خلال ما ورد عنه في الكتاب والسنة، وقمت بتقسيم البحث إلى أربعة مباحث وفقاً لأركان الدعوة[2]، وهي على النحو التالي:-

**المبحث الأول: الداعي وهو عيسى (عليه السلام)**

وفي هذا المبحث أتحدث عن جوانب هامة من حياة عيسى (عليه السلام) للتعريف به، ومن ذلك اصطفاء الله لأمه وآل عمران، وكذلك اسمه ونسبه، وولادته، وصفاته، ورفعه إلى السماء، ونزوله آخر الزمان.

---

(1) وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليهم وسلم. (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 173/4 ).

(2) اختلف الباحثون في علم الدعوة حول أركان الدعوة من حيث عددها، وما هيتها. فعلى سبيل المثال عدها الدكتور عبدالحليم محمود ثلاثة وهي: العقيدة، والعبادة، والخلق. (انظر: فقه الدعوة إلى الله 113/1). وعدها البيانوني ثلاثة أركان: الداعي، المدعو، موضوع الدعوة. (انظر: المدخل إلى علم الدعوة ص152)، وعدها سعيد علي القحطاني أربعة هي: الموضوع، الداعي، المدعو، الوسيلة والأسلوب. (انظر: سعيدالقحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، 116 ).

**المبحث الثاني: المدعو**

وفي هذا المبحث أُعرِّف بمن يدعوهم عيسى (عليه السلام) وهم طائفتان من الناس، أمة عيسى (عليه السلام) وهم بنو إسرائيل، ثم أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) في آخر الزمان، بالحديث عن شيء من صفاتهم وأحوالهم.

**المبحث الثالث: موضوع الدعوة**

وفي هذا المبحث أتطرق للحديث عن الموضوعات الدعوية التي يدعو إليها عيسى (عليه السلام) مثل: العقيدة، والشريعة، والأخلاق.

**المبحث الرابع: الوسيلة والأسلوب**

وينقسم الحديث في هذا المبحث إلى قسمين، فالأول منهما يختص بالوسيلة، والثاني يختص بالأسلوب، وأعرض تحت كل قسم ما دلت عليه الأدلة من الوسائل والأساليب التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته.

وأما الخطوات التي سلكتها في هذا البحث فهي على النحو التالي:-

مُحَرَّم- الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة، والاستفادة من أقوال أهل العلم من المفسرين والمحدثين فيما يتعلق بموضوع البحث.

صَفَر- عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن.

رَبيع أول- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

ربيع ثاني- الاكتفاء بذكر معلومات الطباعة لمراجع البحث في قائمة المراجع في آخر البحث.

جمادى أول- عمل قائمة مراجع البحث مرتبة هجائياً، حسب اسم الكتاب.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

# المبحث الأول: الداعي

# المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)

## اصطفاء الله لأم عيسى وآل عمران

إن الله سبحانه وتعالى اصطفى رسله من خلقه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (3). وعيسى ابن مريم (عليه السلام) ممن اصطفاهم الله سبحانه لرسالته، وهذا الاصطفاء –دون الرسالة– شمِل أمه وآلَ عمران، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (4). وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (5).

كما ذكر المولى في كتابه العزيز ما أنعم به على مريم من نعم، ومن ذلك ما كان من شأنها في ولادتها، وحين كفالتها، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (6).

وتتمثل عناية الله سبحانه وتعالى بمريم في هذه الآيات، بعدة أمور على النحو التالي:–

مُحَرَّمٌ– قبول الله سبحانه وتعالى لها، استجابة لدعوة أمها بقولها ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فقال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾.

---

(3) سورة الحج، الآية 75.

(4) سورة آل عمران، الآية 42.

(5) سورة آل عمران، الآية 33.

(6) سورة آل عمران، الآيات 35-37.

صَفَرٌ- أن الله سبحانه وتعالى أنبتها نباتاً حسناً، والنبات الحسن يشمل الصفات الخُلقية والخَلقية، فنشأت نشأة دينية كريمة،وقد جعل الله لها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً.[7]

رَبِيعٌ أَوَّل- أن الله سبحانه وتعالى جعل كفالتها بيد نبي من أنبيائه وهو زكريا (عليه السلام)، فكان ذلك من أسباب النشأة الصالحة لها.

ربيع ثانٍ- أن الله أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم بدعاء أمها لها، وفي هذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [8].

**اسمه ونسبه**

ذكر الله سبحانه وتعالى اسمه ونسبه في كتابه العزيز ولم يزد نسبه على كونه ابن مريم، في قوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [9]. قال ابن كثير (ت ربيع ثان رجب رجب هـ): «اسمه المسيح عيسى ابن مريم، أي: يكون هكذا مشهوراً في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك. وسمي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى. وقوله تعالى ﴿عيسى ابن مريم﴾ نسبة إلى أمه حيث لا أب له»[10].

وهذا هو نسبه الحقيقي لا زيادة على ذلك، إلا أن أهل الكتاب زادوا في نسبه، فنسبوه إلى يوسف النجار، زعموا أنه كان خطيباً لأمه، فذكروا نسبه من طريق يوسف

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 360/1.

(8) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم 4548.

(9) سورة آل عمران، الآية 45.

(10) تفسير القرآن العظيم 365/1،364.

النجار، فأوصله صاحب إنجيل متى إلى إبراهيم، وأوصله صاحب إنجيل لوقا إلى آدم عليه السلام.[11]

وقد كذبوا في ذلك، فكيف يمكن معرفة نسب رجل من عامة بني إسرائيل إلى إبراهيم، أو إلى آدم (عليه والسلام)، وإذا سلَّمنا أنه يمكن معرفة النسب إلى إبراهيم، فكيف يُعرف النسب إلى آدم، وبين آدم وذلك الرجل قرون لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى في حكايته عن الأقوام: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [12]. قال ابن إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال في قوله ﴿ لا يعلمهم إلا الله ﴾ :كذب النسابون. وقال عروة بن الزبير (ت ربيع ثان رمضان هـ): وما وجدنا أحداً يعرف ما بعد معد بن عدنان[13].

## ولادته

جاءت البشرى إلى مريم بعيسى (عليهما السلام) بقوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾ [14]. وحيث أن مريم (عليها السلام) عذراء لم تتزوج، تعجبت كيف يأتيها الغلام فتساءلت ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[15] فجاءها الجواب من العلي القدير الذي لا يعجزه شيء ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾[16].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يأتي تفصيل ذلك الحمل العجيب والولادة على غير مثال سابق من البشر، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا.

---

(11) انظر: أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، 65.

(12) سورة إبراهيم، الآية 9.

(13) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 527/2.

(14) سورة آل عمران، الآية 45.

(15) سورة آل عمران، الآية 47.

(16) سورة آل عمران، الآية 47.

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [17]. إذا فحمل مريم عليها السلام إنما هو بنفخة من روح الله، وذلك حين بعث إليها جبريل (عليه السلام) على صورة بشر فتعوذت منه حين رأته ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ذلك أن التقي ذو نهية. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي[18]. فأجابها الملك مطمئناً لها، ومهدئاً لروعها، فأمنت على نفسها حينئذ. وتم لها الحمل بعد أن نفخ الملك في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، ومن قال: إنه نفخ في فمها وأن الذي يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقول خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالّها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة هو جبريل (عليه السلام)، وقد ورد الخلاف في مدة حملها، والمشهور عند الجمهور أنه تسعة اشهر.[19]

وفي أحداث الولادة قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[20] قال ابن كثير: «فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة في المكان الذي تنحت إليه، وقد اختلفوا فيه ... والمشهور أنه ببيت لحم الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه ببيت لحم، وقد ورد به الحديث إن صح »[21]. وحين أحست بالطلق تمنت الموت لأنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم -فيما يظنون- عاهرة زانية،

(17) سورة مريم، الآيات 16-22.

(18) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 608.

(19) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 117/3، 116. وقصص الأنبياء، ص 610.

(20) سورة مريم، الآيات 23-26.

(21) تفسير القرآن العظيم 117/3.

فقالت: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾. ولكن جاءها الأمان من ربها بذلك النداء، واختلف في هذا المنادي هل هو جبريل أو عيسى[22]. وكان مضمون هذا النداء ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ قال السعدي (ت جمادى ثان رجب ربيع أول محرم هـ): «فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب الهني. وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر أن تقول على وجه الإشارة ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوتاً ﴿ فلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام، لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفاً عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة. وإنما لم تؤمر بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها، لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها»[23].

وبعد ذلك كله جاءت مواجهتها لقومها التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَاأُخْتَ هَارُونَ[24] مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [25].

---

(22) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 118/3.

(23) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 101/5، 100.

(24) وفي نسبة مريم إلى هارون قال ابن كثير: «أي شبيهة هارون في العبادة ...قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها: "يا أخت هارون" أي أخي موسى، وكانت من نسله، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر، وقيل: نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة. وحكى ابن جرير عن بعضهم: أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له: هارون، ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم عن القرظي في قول الله عز وجل "يا أخت هارون" قال: هي أخت هارون لأبيه وأمه، وهي أخت موسى أخي هارون التي قصت أثر موسى، "فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون" وهذا القول خطأ محض؛ فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل، فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما... والذي جرأ القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر، وإغراق فرعون، وقومه، قال: وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها، يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل. فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى، وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم ». (تفسير القرآن العظيم 120/3، 119).

(25) سورة مريم، الآيتان 28، 27.

جاءت مريم إلى قومها وهي تعلم براءة نفسها ونزاهتها، وهي واثقة من تبرئة الله سبحانه وتعالى لها. فعندما قال لها قومها تلك المقولة، وعجبوا من ذلك وهي من أهل بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والزهادة والعبادة. لم تتول هي الإجابة لنفي التهمة عنها، ولكنها أشارت إلى وليدها، وهي تعلم أنه ليس من أهل الكلام حتى يتولى الرد عنها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[26] ، ولكن من إيمانها بربها وثقتها به فعلت ذلك فأنطق الله صاحب المهد ببراءتها ونزاهتها.

فنطق عيسى (عليه السلام) بعد هذه الإشارة ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [27]. ومن الملاحظ أن عيسى (عليه السلام) لم يرد مباشرة على التهمة الموجهة لأمه، بل إن مضمون كلامه فيه رد قوي عليهم بما زعموا، فإن الله سبحانه وتعالى لا يعطي الكتاب والنبوة لولد من زنى، إضافة إلى ماوهبه الله من الأوصاف الجميلة التي توحي ببركته ونزاهة أمه وطهارتها.[28]

**صفاته**

جاء القرآن والسنة بأوصاف نبي الله عيسى (عليه السلام) الخُلُقية والخَلْقية على النحو التالي:-

**ا- الصفات الخُلقية**

لا شك أن أبرز ما اتصف به (عليه السلام) صفة النبوة، بل هو من أولي العزم من الرسل، ولاشك أن الأنبياء وهبهم الله من حميد الخصال، وكريم الفعال، ما يفوقون به غيرهم من البشر، ومما ورد من صفات عيسى (عليه السلام) ما يلي:-

---

(26) سورة مريم، الآية 29.

(27) سورة مريم، الآيات 30-33.

(28) انظر: منيرة الحبيب، رسالة ماجستير، عيسى ابن مريم في ضوء الكتاب والسنة، كلية الآداب للبنات، عام 1407هـ، ص 25-54.

محرم- البركة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. فالبركة جعلها الله من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه أو جتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه.(29)

صفر- البر بوالدته، كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (30). ليس بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته.(31)

ربيع أول- الوجاهة في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (32). أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه الله إياه. وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.(33)

ربيع ثاني- أنه من الصالحين، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا(34) وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (35) يكلم الناس في المهد آية، ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة. وهو من الصالحين في قوله وعمله له علم صحيح وعمل صالح.(36)

جمادى أول- اللين والرحمة، يدل عليه قوله في شأن قومه : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (37). ولقد اقتدى به نبينا محمدٌ (صلى الله عليه

---

(29) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 103/5.

(30) سورة مريم، الآية 32.

(31) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 616.

(32) سورة آل عمران، الآية 45.

(33) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

(34) الكهل من الرجال : الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب. (الجوهري ، الصحاح 1813/5 ، مادة [كهل]).

(35) سورة آل عمران، الآية 46.

(36) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 58/4. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

(37) سورة المائدة، الآية 118.

وسلم) في هذا القول، كما في صحيح البخاري (ت[illegible]هـ) من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «... يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»[38].

[illegible]- شدة تعظيم الله سبحانه وتعالى في قلبه، وهذا الذي دعاه أن يُصدِّق الحالف ويُكذِّب عينه، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»[39]. قال ابن القيم (ت[illegible]هـ): «تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح (عليه السلام) أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم (عليه السلام) صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً»[40].

**الصفات الخَلقية**

لقد بَيَّن الله سبحانه وتعالى المادة التي خلق منها جسد عيسى ابن مريم (عليه السلام) رداً على من زعم أنه يختلف عن البشر، فزعم بسبب ذلك له الإلهية، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[41]. فعيسى

---

(38) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3447.

(39) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3444.

(40) إغاثة اللهفان 183/1. وانظر ابن حجر، فتح الباري 489/6.

(41) سورة آل عمران، الآية 59.

(عليه السلام) لا يختلف عن بقية البشر في تكوين جسده، وهذا الجسد يحتاج من الأمور ما تحتاجها بقية الأجساد، ولذا قال سبحانه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[42].

وجاء في السنة المطهرة بعض الصفات التفصيلية لهذا الجسد، فجاءت بوصف شعره ولونه وقامته ونحوذلك، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة أسري به: «لقيت موسى قال: فنعته ... قال: ولقيت عيسى فنعته النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: رَبْعَة أحمر كأنما خرج من دِيْمَاس، يعني الحمام»[43]. والرَّبْعَة هو متوسط القامة لا طويل ولا قصير [44].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال النبي (صلى الله عليه وسلم): « فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر»[45]. فصفة الجعودة هنا في الجسم لا في الشعر ؛ لأنه ورد وصف الشعر بالسبِط، كما في مسند الإمام أحمد (ت مُحَرَّم ربيع ثان صَفَر هـ) عن ابن عباس قال: قال نبي الله (صلى الله عليه وسلم): «ورأيت عيسى ابن مريم عليهما السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس»[46]. السَّبِط والسَّبْط من الشَّعْر المنْبَسِط المسْتَرسِل، وهو ضد الجَعْد[47]، وأما الجعد في الجسم فهو المجتمع الشديد [48].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «...وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لِمَّته بين منكبيه، رَجِل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي

---

(42) سورة المائدة، الآية 75.

(43)الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3437.

(44) انظر: الرازي، مختار الصحاح، 230. وابن حجر، فتح الباري 484/6.

(45) أخرجه البخاري أيضاً، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3438.

(46) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر ربيع ثان/شعبان ربيع أول. وقال المحقق: إسناده صحيح.

(47) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 334/2. والجوهري، الصحاح 1129/3، مادة [سبط]).

(48) انظر: ابن منظور، لسان العرب 122/3، مادة [جعد]. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 275/1. وابن حجر، فتح الباري 486/6.

رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم»[49]. فهذا الحديث فيه وصف اللون بانه آدم وهو الأسمر، وقد ورد في الحديث السابق أنه أحمر، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، ويمكن الجمع بين الوصفين أنه احْمَرَّ لونه بسبب، كالتعب، وهو في الأصل أسمر، والله أعلم [50].

وفي صحيح مسلم (ت محرم جمادى ثان صفر هـ) من حديث ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف عيسى : « ... يسكب رأسه أو يقطر رأسه »[51].

كما جاء في الحديث وصف لمته وهي شعر راسه، ويقال للشعر إذا جاوز شحمة الأذنين لمة[52]. كما جاء وصفه بأنه ( رَجِل الشَّعْر ) قال ابن حجر (ت صفر جمادى أول شعبان هـ): «أي قد سرحه ودهنه، وفي رواية مالك " لَهُ لِمَّة كأحسن ما أنت راءِ من اللمم، قد رجلها فهي تقطر ماءً"[53] .

ويحتمل أنها تقطر من الماء الذي سرحها به، أو أن المراد الاستنارة، وكنى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة.[54]

وفي مسند أبي يعلى (ت رجب شوال ربيع أول هـ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف عيسى في حديث الإسراء: «ورأيت عيسى شاباً أبيض، جعد الرأس، حديد البصر، مبطن الخلق»[55].وجاء في مسند الإمام أحمد وصف شيء من لباسه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في وصف

---

(49) الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3440.

(50) انظر: ابن حجر، فتح الباري 486/6.

(51) كتاب الإيمان، حديث رقم 169.

(52) الجوهري، الصحاح 2032/5 ، مادة [لمم].

(53) الموطأ ، كتاب الجامع، حديث رقم 1665.

(54) ابن حجر، فتح الباري 486/6.

(55) مسند أبي يعلى جمادى أول/شعبان شوال محرم رقم شوال صفر رجب صفر. وقال الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

عيسى (رضي الله عنه) عند نزوله: ((عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل))[56]. والممصَّرةُ من الثياب التي فيها صُفْرَةٌ خفيفةٌ.[57]

وورد تشبيه الصحابي عروة بن مسعود[58] (رضي الله عنه) بعيسى (عليه السلام)، لما في صحيح مسلم عن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ورأيت عيسى ابن مريم (عليه السلام) فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود))[59].

من تلك النصوص نخلص إلى أن ما ورد من صفاته الجسدية تتمثل في ما يلي:-

مُحَرَّم- أن جسد عيسى خلق من التراب، وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه بقية أجساد البشر كالمأكل والمشرب ونحوه.

صَفَر- أن شعره سبط مسترسل قد تعدى شحمة أذنه، وأن له لمعاناً.

رَبيع أول- أنه معتدل القامة لا بالطويل ولا بالقصير.

ربيع ثان- أن جسمه مجتمع الخلق قوي البنية.

جمادى أول- أن لونه من أحسن الناس لوناً.

جمادى ثان- يكون عليه حين نزوله ثوبان فيهما صفرة خفيفة.

رجب- أن أقرب الناس به شبهاً هو الصحابي الجليل عروة بن مسعود الثقفي (رضي الله عنه).

شعبان- أنه شاب، وقد رفع إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

---

(56) المسند 406/2.

(57) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ربيع ثان/جمادى ثان ربيع أول ربيع أول. وانظر: ابن منظور، لسان العرب 177/5، مادة [مصر].

(58) ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو الثقفي، كان أحد الأكابر من قومه، لما أسلم ذهب إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فلما أظهر دينه ودعاهم إلى الله قتلوه. (ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة 478/2،477 ).

(59) كتاب الإيمان، حديث رقم 167.

## رفعه إلى السماء

لما تآمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى (عليه السلام) والخلاص منه ومن دعوته، نجاه الله سبحانه وتعالى منهم ورد كيدهم في نحورهم فرفعه إليه حياً ببدنه وروحه، ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[60]. وقد اختلف العلماء بالمقصود بـ(متوفيك) في هذه الآية، فذكر ابن جرير (ت شوال محرم ربيع أول هـ) عدة أقوال في هذه المسألة على النحو التالي:-

قال بعضهم: هي وفاة نوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني منيمك، ورافعك في نومك.

وقال آخرون: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، فرافعك إلي، قالوا: ومعنى الوفاة: القبض، لما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: ﴿إني متوفيك ورافعك﴾ أي قابضك من الأرض حياً إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك.

وقال آخرون: معنى ذلك: إني متوفيك وفاة موت.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى، إني رافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

ثم قال بعد أن ساق هذه الأقوال وأدلتها: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله

(60) سورة آل عمران، الآية 55.

(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال" ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.[61]

وما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيه له، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [62]. ذكر ابن جرير فيمن ألقي عليه الشبه قولين، الأول: أن الشبه ألقي على جميع أصحابه. الثاني: أن الشبه إلقي على رجل من أصحابه حين سألهم ذلك. واختار ابن جرير الأول.[63]

وأضاف ابن الجوزي (ت رجب رمضان جمادى أول هـ) قولاً ثالثاً، وهو أن الذي ألقي عليه الشبه بعض من أراد قتله من اليهود. [64]

وأما في سنه حين رفعه الله إليه فقد كان ثلاثاً وثلاثين سنة، لما في مستدرك الحاكم (ت جمادى أول شوال ربيع ثان هـ) عن سعيد بن المسيب قال: « رفع عيسى ابن مريم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومات معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله تعالى عنه» [65].

## نزوله في آخر الزمان

علمنا مما سبق أن الله سبحانه وتعالى رفع عيسى (عليه السلام) ببدنه وروحه، وسينزل في آخر الزمان ببدنه وروحه، لقد ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى هذا النزول حسب أقوال المفسرين، ففي قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [66]. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي وقتادة: إنه خروج عيسى عليه السلام،

---

(61) انظر: جامع البيان 289/3-291. وانظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن 64/4، 65. وابن تيمية، مجموع الفتاوي 323/4،322.

(62) سورة النساء، الآيتان، 157، 158.

(63) انظر: جامع البيان 12/6-14

(64) انظر: زاد المسير 244/2.

(65) المستدرك 269/3. وسكت عنه الذهبي.

(66) سورة الزخرف، الآية 61.

وذلك من أعلام الساعة. لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة.[67]

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [68]. قال ابن جرير: «يعني قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم»[69].

وأما في السنة فقد تواترت الأحاديث على نزول عيسى في آخر الزمان[70] كما دلت على ذلك السنة، لما في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[71].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[72].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[73].

---

(67) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 70/16. وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 133،134/4.

(68) سورة النساء، الآية 159.

(69) جامع البيان 18،21/6. وقد ذكر ابن جرير أقوالاً أخرى، وهذا القول هو اختياره.

(70) انظر أقوال أهل العلم في تواتر الأحاديث في هذه المسألة عند الكمشميري، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، تحقيق ومراجعة وتعليق عبدالفتاح أبو غدة، ص 56 وما بعدها.

(71) الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2222.

(72) كتاب الإيمان، حديث رقم 156.

(73) الجامع الصحيح، كتاب المظالم والغصب، حديث رقم 2476.

وما يكون في هذا النزول من كسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية، وقتل الدجال سيأتي الحديث عنه في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى.

**الحكمة من نزوله**

إن مما اختص الله به عيسى ابن مريم (عليه السلام) دون سائر الأنبياء نزوله إلى الدنيا في آخر الزمان، ومباشرته مهام الدعوة مرة ثانية، ولكن ترى ما الحكمة من هذا النزول؟ لقد حاول بعض العلماء معرفة ذلك، ومما قالوه في هذا الشأن مايلي:-

مُحَرَّمٌ- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم.

صَفَرٌ- نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

رَبِيعٌأول- أنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله.

ربيعٌثانٍ- تكذيبه لكل من ادعى إلهيته أو بنوته لله تعالى.

جُمَادَىٰأول- إبطال الغلو الذي تمادى فيه أهل الكتاب، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (74).

وبعد أن ذكر ابن حجر الأقوال الثلاثة الأولى قال: « والأول أوجه».(75)

**مدة بقائه في الأرض بعد نزوله**

وأما ما يتعلق في مدة بقائه في الأرض بعد النزول فقد روى مسلم من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) في مدة بقاء عيسى في الأرض بعد نزوله، أنها سبع سنين(76). وروى نعيم بن حماد (تشَعْبَانصَفَرٌصَفَرٌهـ) في كتاب الفتن من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن

---

(74) سورة النساء، الآية 171.

(75) فتح الباري 493/6. وانظر: يوسف الوابل، أشراط الساعة ص355-357. و د. محمود الديك، المسيح يعود إلى الأرض ثانية،ص 171-173.

(76) ورد ذلك في حديث طويل في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم 2940.

عيسى (عليه السلام) إذ ذاك يتزوج في الأرض، ويقيم بها تسع عشرة سنة، وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يقيم بها أربعين سنة.[77]

(77) ابن حجر، فتح الباري 493/6.

## المبحث الثاني: المدعو

المدعو مفرد، والجمع مدعوون، وهم القوم الذين يدعوهم عيسى (عليه السلام). ومما تميزت به دعوة عيسى ابن مريم (عليه السلام) أنه دعا أمتين مختلفتين، في زمانين مختلفين، فأصبح المدعوون له صنفين:-

**الصنف الأول: بنو إسرائيل**

فدعوته في بادئ الأمر لأمته من بني إسرائيل كما دل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [78]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [79].

وهذه الأمة قد ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم، وذكر رسوله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً كثيراً من صفاتهم، وما هم عليهم من تكذيب لله وتحريف للكتب وقتل للأنبياء، وعناد لله ورسله مما يحتاج إلى التعامل معهم في دعوتهم بما هم أهله.

ففي كفرهم بالله ولبسهم الحق بالباطل وكتمان الحق، قال عنهم: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [80].

وفي جرأتهم على الله سبحانه وتعالى قال عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [81].

---

(78) سور آل عمران، الآية 49.

(79) سورة الصف، الآية 6.

(80) سورة آل عمران، الآيتان 70،71.

(81) سورة المائدة، الآية 64.

وفي نكثهم للعهد، وإخلافهم للوعد، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (82).

وفي تحريفهم لكلام الله تعالى قال عنهم: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (83).

وفي تكذيبهم لبعض الرسل وقتلهم للبعض الآخر قال عنهم: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (84).

وفي عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله لعنهم قائلاً: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (85).

وفي اتهامهم لعيسى بالسحر قال الله عنهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (86).

ولا يعني ذلك أن جميع أهل الكتاب أو أن جميع بني أسرائيل هم كذلك، بل فيهم الصالحون، وفيهم أتباع الأنبياء المتقون، وذلك في وقت شرعية دينهم، وإلى هذا الصنف

---

(82) سورة البقرة، الآية 246.

(83) سورة النساء، الآية 46.

(84) سورة المائدة، الآية 70.

(85) سورة المائدة، الآية 78.

(86) سورة الصف، الآية 6.

أشار الله سبحانه وتعالى إليهم بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (87).

وجاء في السنة المطهرة الكثير من صفاتهم(88)، فعلى سبيل المثال عن شركهم بالله جاء في صحيح البخاري أن عائشة وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قالا: لما نزل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»(89).

وفي تبديلهم كلام الله جاء في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا: حطة. فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم، وقالوا: حبة في شعرة»(90).

وفي تحايلهم على المحرمات ورد في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « قاتل الله اليهود، حرَّم الله عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها»(91).

وفي قلة حيائهم جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى (صلى الله عليه وسلم) يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل

---

(87) سورة آل عمران، الآية 199.

(88) انظر: د. الشقاري، اليهود في السنة المطهرة 465/2-542.

(89) الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، حديث رقم 436.

(90) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم 3403. ومسلم، كتاب التفسير، حديث رقم 3015. واللفظ للبخاري.

(91) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2236. ومسلم، كتاب المساقاة، حديث رقم 1583. واللفظ لمسلم.

معنا إلا أنه آدر[92]، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله، ما بموسى من بأس. وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً. فقال أبو هريرة: والله، إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر»[93].

ولا شك أن قوماً تلك أخلاقم وطباعهم سيلاقي منهم نبيهم التكذيب والإعراض والإيذاء، فكانت كذلك حالهم مع المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام)، حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة قتله والخلاص منه، فنجاه الله منهم برفعه إلى السماء حياً.

ويحدثنا ابن كثير عن قوم عيسى بعد رفعه قائلاً:

> وهكذا وقع فإن المسيح (عليه السلام) لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبدالله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقالتهم في القرآن، وردَّ على كل فريق. فاستمروا على ذلك قريباً من ثلاث مائة سنة، ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له: قسطنطين، فدخل في دين النصرانية قيل: حيلة ليفسده، فإنه كان فيلسوفاً وقيل: جهلاً منه. إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى[94] التي هي الخيانة الحقيرة، وأحل في زمانه لحم الخنزير، وصلوا إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون، وصار دين المسيح دين قسطنطين.[95]

وفي موقف أهل الكتاب من عيسى (عليه السلام) ورد في مسند أبي يعلى عن علي (رضي الله عنه) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «فيك مثل من عيسى ابن مريم؛ أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به، قال: ثم

---

(92) الأُدْرَة: نفخة في الخصية، يقال: رجل آدر بين الأدرة. (الجوهري، الصحاح 577/2 مادة [أدر]).

(93) الجامع الصحيح، كتاب الغسل، حديث رقم 278.

(94) الأمانة جملة من الكلام اخترعوه، يجمع أصول عقيدتهم، ولا تتم لأحد منهم نصرانية إلا به، وقد صرحوا فيه بأن المسيح رب، وأنه ابن الله وأنه بكره، وأنه ليس له ولد غيره، وأنه ليس بعبد مخلوق، وأنه مساو لأبيه في الجوهر، إلى غير ذلك من المعتقد الباطل. (انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 118/1. وابن القيم، هداية الحيارى، ص 488، 489 ).

(95) تفسير القرآن العظيم 367/1.

قال علي: يهلك فيَّ رجلان، محب مطر يفرط لي بما ليس فيَّ، ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني»[96].

**الصنف الثاني: أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الزمان**

يدل على دعوته في آخر الزمان لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ما ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم (صلى الله عليه وسلم) فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[97].

وقد وردت كثير من النصوص الشرعية في وصف الناس في ذلك الوقت، ومن هذه النصوص ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين –لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً– فيبعث الله عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه. قال: سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا. فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[98] ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط[99] حوض إبله

---

(96) مسند أبي يعلى 406/1، حديث رقم 534. والإمام أحمد في فضائل الصحابة 575/2، حديث رقم 974. واللفظ لأبي يعلى.

(97) كتاب الإيمان، حديث رقم 156.

(98) اللِّيتُ بالكسر: صفحة العنق. (الجوهري، الصحاح 265/1، مادة [ليت].

(99) بمعنى يطين ويصلح. (الجوهري، الصحاح 1158/3 مادة [لوط]. والنووي، شرح صحيح مسلم 76/18).

قال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل –نعمان الشاك– فتنبت منه أجساد الناس...».[100]

فدل هذا الحديث على خروج المسيح الدجال قبل عيسى (عليه السلام)، فهو يفتن الناس ويدعوهم إلى الكفر بالله ومعه من الخوارق المعجزات ما قدره الله عليها، ولا يترك بلداً إلا دخله، إلا مكة والمدينة، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق»[101].

ومما يأتي به ليفتن الناس ما ورد في صحيح البخاري عن حذيفة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال في الدجال: «إن معه ماءً وناراً فناره ماء بارد وماؤه نار».[102]

وفي صحيح مسلم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الدجال: «فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ...»[103].

ومما يذكر من حال الناس في آخر الزمان امتلاء الأرض بالظلم والجور، لما في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطا وعدلاً»

---

(100) كتاب أشراط الساعة، حديث رقم 2940.

(101) الجامع الصحيح، كتاب الحج، حديث رقم 1881.

(102) الجامع الصحيح، كتاب الفتن،حديث رقم 7130.

(103) كتاب الفتن، حديث رقم 2937.

[104]. وهذا الذي يملؤها قسطاً وعدلاً هو المهدي الذي يكون في الناس حين نزول عيسى ابن مريم، لما في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم))[105].

قال ابن حجر: (( قال أبو الحسن الخسعي الآبدي (ت ربيع أول جمادى ثان ربيع أول هـ) في مناقب الشافعي (ت ربيع ثان شوال صفر هـ): تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه))[106].

---

(104) المسند 28/3.

(105) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء 3449. ومسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 155. واللفظ لهما.

(106) فتح الباري 494/6،493.

## المبحث الثالث: الموضوع

### العقيدة

إن أبرز موضوعات العقيدة التي جاء بها الأنبياء لدعوة أقوامهم، الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (107). وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (108).

وبهذا جاء عيسى (عليه السلام) يدعو قومه كما أخبر عنه المولى سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (109).

وفي هذا الجانب أيضاً جاءت السنة تدل على دعوة عيسى (عليه السلام)، فعن الحارث الأشعري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى ابن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب، أو يخسف بي. قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات، قال: فوعظهم، قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِق، قال هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليَّ. فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده. فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً...الحديث» (110).

(107) سورة النحل، الآية 36.

(108) سورة الأنبياء، الآية 25.

(109) سورة المائدة، الآية 72.

(110) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 130/4. وأبو يعلى في مسنده 141/3،140 رقم 1571، وقال محقق الكتاب الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح. والطبراني في المعجم الكبير 285/3 رقم 3427. وأبو داود الطيالسي في مسنده، 159رقم 1161. وابن حبان في صحيحه 123/14 وقال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وفي جانب العقيدة أيضاً جاء ببيان حقيقة نفسه رداً على من زعم له الإلهية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (111).

وجاء بالرد عليهم في زعمهم أنه ابن الله، كما أخبر الله عنه بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (112). وكان رد عيسى (عليه السلام) لهذا الاعتقاد منهم بأول كلام تكلم به في المهد ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (113). فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله سبحانه وتعالى، وهذه حقيقته، وفيه رد على من غلا فيه، فقال: هو الله، أو هو ابن الله.

وجاء (عليه السلام) بالتبشير بالنبي الذي يأتي من بعده، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (114). والتبشير به يتضمن الدعوة إلى الإيمان به وبما جاء به. فهي دعوة للنصارى الذين يدركون محمداً (عليه الصلاة والسلام) ليسلموا ولا يبقوا على نصرانيتهم.

وفي سنن أبي داود (جمادى أول رجب صفر هـ) عن أبي بردة عن أبيه قال أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ننطلق إلى أرض النجاشي فذكر حديثه قال النجاشي: «أشهد أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه»(115).

---

(111) سورة المائدة، الآية 116.

(112) سورة التوبة، الآية 30.

(113) سورة مريم، الآية 30.

(114) سورة الصف، الآية 6.

(115) كتاب الجنائز، حديث رقم 3205.

جاء عيسى (عليه السلام) مقرراً لشريعة موسى في التوراة، مع ما جاءه في الإنجيل، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (116).

ومع إقراره ما جاء به موسى من قبل في التوراة،ة إلا أنه جاء بتخفيف شيء من ذلك، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (117). يقول ابن كثير: «فيه دلالة على أن عيسى (عليه السلام) نسخ بعض شريعة التوراة وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئاً، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ»(118).

وكان عيسى (عليه السلام) يدعو إلى الصلاة والصيام والصدقة والذكر ونحو ذلك من العبادات، ففي حديث الحارث الأشعري الذي مر طرف منه قال: «وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل كانت معه صرة فيها مسك ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم. وآمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في إثره حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله ...»(119).

---

(116) سورة المائدة، الآية 46.

(117) سورة آل عمران، الآية 50.

(118) تفسير القرآن العظيم 366/1.

(119) سبق تخريجه ص 26.

ومما يجب التنبه له هنا هو أن موضوع دعوة عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان هو موضوع دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإن عيسى آخر الزمان يحكم بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا ينسخ منها شيئاً. فإن قيل كيف يضع عيسى الجزية، كما ورد عند البخاري «ويضع الجزية»[120] والجزية مقررة في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، أليس هذا بمعنى النسخ ؟

يجيب عن هذا ابن حجر قائلاً:

> ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى، لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا (صلى الله عليه وسلم) هو المبين للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال؛ فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد. ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى (عليه السلام) زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً، والله أعلم[121].

وعلى هذا فإن عيسى (عليه السلام) يدعو في آخر الزمان إلى الإسلام، فلا يهودية ولا نصرانية في ذلك الوقت، وموضوع الدعوة عنده في ذلك الوقت هو دعوة الإسلام، وفي هذا ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكما قسطا وإماما عدلا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة»[122].

**الآداب والأخلاق**

ومن الموضوعات الدعوية التي دعا إليها عيسى (عليه السلام) قومه الآداب والأخلاق، ومن ذلك ما ورد في المعجم الكبير الطبراني (ت شوال جمادى ثان ربيع أول هـ) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن عيسى ابن مريم (عليه السلام) قال:

---

(120) سبق الحديث وتخريجه ص 16 .

(121) فتح الباري 492/6، 491. وانظر: النووي في شرح صحيح مسلم 190/2.

(122) المسند 394/2.

«إنما الأمور ثلاثة: أمر يتبين لك رشده فاتبعه، وأمر يتبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه»[123].

وجاء من الآداب التي دعا إليها عيسى (عليه السلام) الدعاء الذي يقال عند الدين،لما في مستدرك الحاكم عن عائشة (رضي الله تعالى عنها) قالت: دخل علي أبو بكر فقال هل سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاء علمنيه؟ قلت ما هو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يعلمه أصحابه قال: «لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»[124].

ومن الآداب التي كان يدعو إليها عيسى (عليه السلام) أدب بذل العلم، ففي سنن الدارمي (تجمادى أولجمادى أولصفره) عن معاوية أن أبا فروة حدثه أن عيسى ابن مريم كان يقول: «لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع»[125].

كما ذكر ابن كثير جملة من الحكم والآداب التي كان يدعو إليها (عليه السلام)[126]، فمن ذلك مارواه عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال: قال عيسى للحواريين: «كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا »[127].

ومنها ما قاله ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول: « اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكان يقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة»[128].

---

(123) المعجم الكبير للطبراني 386/10، حديث رقم 10774. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 157/1: ورجاله موثقون.

(124) المستدرك 515/1.

(125) سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد زمرلي وخالد السبع 117/1، حديث رقم 379.

(126) انظر: قصص الأنبياء، ص 649-657.

(127) المرجع السابق، ص 652.

(128) المرجع السابق، الموضع نفسه.

وقال سفيان الثوري (ت محرم جمادى ثان محرم هـ): قال عيسى ابن مريم: «لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء»[129].

وقال أبو مصعب عن مالك: قال عيسى ابن مريم (عليه السلام): «لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله، فتقسو قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية»[130].

---

(129) المرجع السابق، ص 653.

(130) المرجع السابق، 654.

## المبحث الرابع: الوسيلة والأسلوب

### أولاً: الوسيلة

الوسيلة في الأصل: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل. والواسل هو الراغب.(131)

والوسيلة في الدعوة هي الطريقة التي يسلكها الداعية في تبليغ الدعوة إلى المدعوين، أو إزالة عوائقها.(132)

ومن الوسائل التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته، ما يلي:-

**الدعوة بالقدوة**

لقد جعل الله سبحانه وتعالى رسله عليهم الصلاة والسلام قدوة لمدعويهم، بما أعطاهم من صلاح القول والعمل، وحسن الخلق، فإن الله لما ذكر في كتابه جملة من الأنبياء ذكر أنهم أئمة لغيرهم، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (133). أي رؤساء يقتدى بهم في الخير.

ومما يدل على مكانة القدوة وأهميتها في الدعوة إلى الله فقد أُمر نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) على ما هو عليه من إكمال العبودية لله سبحانه وتعالى أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، ومنهم عيسى ابن مريم (عليه السلام) حين قال سبحانه بعد ذكره لجملة من الأنبياء: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى

---

(131) الجوهري، الصحاح، 1841/5، مادة [وسل].

(132) انظر: سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص126. والدكتور علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله 215/1. ومحمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص 48. ومحمد عبدالقادر أبو فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 80.

(133) سورة الأنبياء، الآية 73.

لِلْعَالَمِينَ﴾ [134]. قال ابن كثير: «وإذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به»[135].

ولقد أُمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في موضع آخر بالاقتداء بعيسى (عليه السلام) مع إخوانه من أولي العزم من الرسل، حين قال عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [136]. قال ابن كثير: «قال تبارك وتعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ أي على تكذيب قومهم لهم. وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم»[137].

وإذا كان عيسى (عليه السلام) قدوة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فإن قوم عيسى من مدعويه أحوج إلى هذا الاقتداء لما فيهم من النقص والتقصير في طاعة المولى سبحانه وتعالى، ومما يؤكد هذا الاقتداء بعيسى (عليه السلام) ما جبله الله عليه من الفضائل ومكارم الأخلاق، التي مرت بنا عند الحديث عن صفاته، وقد وصفه ربه بأنه من الصالحين، والصلاح كل ما يصدر عنه من قول أو فعل. ومن اتصفت أقواله وأعماله بالصلاح، كان قدوة حسنة لمدعويه.

### الدعوة بالدليل والبرهان

من سنن الله سبحانه أن أيد رسله بالدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تكون سبباً في استجابة أقوامهم لهم، ولقد أيد الله سبحانه وتعالى رسوله عيسى (عليه السلام) بجملة من الآيات البينات كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

(134) سورة الأنعام، الآية 90.

(135) تفسير القرآن العظيم 156/2.

(136) سورة الأحقاف، الآية 35.

(137) تفسير القرآن العظيم 173/4.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾(138).

وكان عيسى (عليه السلام) عند دعوة قومه إلى الله يُذَكِّرهم بما معه من هذه الآيات، كما قال عنه المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (139).

ومن آياته المائدة التي أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (140).

والآيات المذكورة في هذا السياق التي أيد الله بها عيسى (عليه السلام) هي:-

محرم- الكلام في المهد.

صفر- يخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

ربيع أول- أنه يبرئ الأكمه، والأكمه قيل في معناه: إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً وقيل بالعكس وقيل: الأعشى وقيل: الأعمش وقيل: هو الذي يولد أعمى وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي.(141)

ربيع ثان- يبرئ الأبرص.

جمادى أول- يحيي الموتى بإذن الله. وقد ورد تكرار (بإذن الله) في الآية دفعاً لتوهم الألوهية، لأن إحياء الموتى ليس من جنس أفعال البشر.

---

(138) سورة المائدة، الآية 110.

(139) سورة آل عمران، الآية 49.

(140) سورة المائدة، الآية 114.

(141) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 365/1.

جمادى ثان– الإنباء بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون، وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخر للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا; فذلك قوله "وأنبئكم" الآية.[142]

رجب– نزول المائدة.

فالذي جاء به عيسى (عليه السلام) كل ذلك آية من الله تحقق قوله وتصدق خبره أنه رسول من رب العالمين، يدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، حيث قال في نهاية ذكر هذه الآيات مبيناً الهدف من الرسالة: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

ولنا أن نتساءل، ما الحكمة من كون آيات عيسى (عليه السلام) من هذا الجنس ؟

يجيب عن هذا الحافظ ابن كثير قائلاً: ((قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى (عليه السلام) السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سَحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى (عليه السلام) فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد؟ أو على مداواة الأكمه؟ والأبرص وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟))[143].

ومع هذه الآيات الباهرة والبراهين القاهرة كيف كانت الاستجابة لعيسى (عليه السلام) ؟

---

(142) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 61/4.

(143) تفسير القرآن العظيم 365،366/1.

بعد أن عاين اليهود من عيسى (عليه السلام) تلك المعجزات، ما كان جواب كثير منهم إلا أن قالوا: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. ويعود هذا إلى شدة عناد اليهود وجحودهم، ومن جملة الأسباب التي صدتهم عن اتباعه مع ما جاء به من الآيات البينات ما يلي:-

مُحَرَّمٌ- ادعاء أحبار اليهود وكهنتهم أنهم الصلة بين الله وبين الناس، وبدونهم لا تتم صلة العبد بربه، ولا المخلوق بخالقه، فجعلوا يصدرون للناس أحكاماً ويشرعون لها شرائع، ويزعمون أنها من عند الله، كل ذلك من أجل مصالحهم الشخصية، وهذا الصنف قد أخبر الله عنه بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [144]. فجاء عيسى (عليه السلام) يبطل هذه الدعوى.

صَفَرٌ- شغف اليهود بالمال وولعهم بجمعه، حتى صاروا عبيداً له، فماتت قلوبهم وفسدت عقيدتهم، وانحطت معنوياتهم وأخلاقهم، ودب الفساد في كل جانب من جوانب حياتهم، فجاء عيسى (عليه السلام) ينكر عليهم ذلك، ويحث على الزهادة في الدنيا.

رَبِيعٌ أَوَّل- أنكر طائفة منهم القيامة، واستبعدوا يوم الحشر.[145]

(144) سورة البقرة، الآية 79.

(145) انظر: سعد صادق محمد، الأنبياء في القرآن ص237-241. و د. أحمد شلبي، المسيحية، ص 46.

ولم يكتف اليهود بتكذيب الآيات، بل حاصروا الدعوة وحاربوها، لمخالفتها ماهم عليه من الفساد، فهي دعوة إلى الفضيلة وهم أهل رذيلة، وهي دعوة توحيد وهم أهل شرك، وهي دعوة للإيمان بعالم الغيب والروح وهم أناس ما ديون لا مكان للإيمان بعالم الغيب والروح عندهم.(146)

**اتخاذ الأنصار**

لما لم تجد مع تلك الطائفة من اليهود هذه الآيات البينات، ووجد منهم الصد والإعراض، والكفر بالله سبحانه وتعالى، اتخذ عيسى (عليه السلام) وسيلة أخرى في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك أن يكون له أعوان منهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (147).

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى ﴿فلما أحس عيسى﴾ أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال، قال: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله، وقال سفيان الثوري وغيره: أي من أنصاري مع الله، وقول مجاهد أقرب. والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر "من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي" حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضي الله عنهم وأرضاهم. وهكذا عيسى ابن مريم (عليه السلام) انتدب له طائفة من بني إسرائيل، فآمنوا به ووازروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، ولهذا قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ والحواريون قيل: كانوا قَصَّارين وقيل: سموا بذلك

---

(146) انظر: مسعود الغامدي، رسالة ما جستير، ميلاد عيسى عليه السلام عند اليهود والنصارى والمسلمين، ص70.

(147) سورة آل عمران، الآيتان 52،53.

لبياض ثيابهم وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير (رضي الله عنه) فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) "لكل نبي حواري وحواريي الزبير ».[148] وأما أنصار عيسى (عليه السلام) فلم يأت في القرآن ولا السنة تعيينهم وتحديد أسمائهم، وقد اختلفت أناجيل النصارى في هذا التعيين.[149]

وقال القرطبي (ت مُحَرَّم رَجَب جُمادى ثان هـ): «وطلبَ النصرة ليحتمي بها من قومه ويظهر الدعوة، عن الحسن ومجاهد. وهذه سنة الله في أنبيائه وأوليائه. وقد قال لوط: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ أي عشيرة وأصحاب ينصرونني. ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ أي أنصار نبيه ودينه»[150].

وإذا تابعنا أحداث الدعوة بعد تلك الخطوة التي اتخذها عيسى (عليه السلام)، نجد من الآيات التي أخبرت بذلك أن اليهود لم يزدادوا بعد ذلك إلا جحوداً وعناداً، فقال عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [151]. يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر. وذلك أن عيسى (عليه السلام) لما أخرجه قومه وأمه من بين أظهرهم، عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة، فهموا بالفتك بعيسى (عليه السلام) وأرادوا به السوء والصلب حين تمالئوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافراً، أن هنا رجلاً يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك، ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زِنية، حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم، ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم فإنه نجى نبيه

---

(148) تفسير القرآن العظيم 366/1.

(149) انظر: منيرة الحبيب، رسالة ما جستير، عيسى ابن مريم في ضوء الكتاب والسنة، ص 181،180.

(150) الجامع لأحكام القرآن 63/4.

(151) سورة آل عمران، الآية 54.

ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعناداً للحق ملازماً لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد.[152]

## السياحة في الأرض

السياحة في الأرض هي الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك كان عيسى (عليه السلام)، فإنه لم يستقر في مكان واحد، بل كان ينتقل من مكان إلى مكان يدعو الناس، ولذا قال بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[153]. أي: لكثرة سياحته، وقيل لمسحه الأرض أي سياحته فيها فراراً بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود وافترائهم عليه وعلى أمه[154]. وعند القرطبي، قيل: لأنه مسح الأرض، أي ذهب فيها فلم يستكن بكنٍّ.[155]

والدعوة إلى الله تحتاج من الداعية إلى الالتقاء بالمدعوين، وقد يتطلب الأمر من الداعية أن يذهب إليهم في بلدانهم وأماكنهم ليبلغهم دعوة الله سبحانه وتعالى، وبخاصة عندما تكون الدعوة جديدة على القوم لا يعرفون عنها شيئاً، ولذا فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما أيس من أهل مكة ذهب يدعو أهل الطائف، كما كان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ليجد من يقبل دعوة الله وينصرها حتى ينتقل إليه، وكان ذلك من نصيب أهل المدينة، عندما استجاب وفودهم إلى هذه الدعوة الجديدة التي كان من نتيجتها أن هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وأكمل دعوته هناك. إضافة إلى ما كان يبعث به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الرسائل والرسل إلى أقوام آخرين.[156]

---

(152) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 63/4، 64. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم 366/1، 367.

(153) سورة آل عمران، الآية 45.

(154) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 364/1. وقصص الأنبياء، ص667.

(155) الجامع لأحكام القرآن 57/4.

(156) انظر نصوص بعض رسائل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك وغيرهم عند ابن القيم في زاد المعاد 688/3 وما بعدها.

وكان عيسى (عليه السلام) كذلك يبعث بالرسل وهم الحواريون ليبلغوا الدعوة في أماكن مختلفة، وقد اشتهر عند أهل الكتاب تسمية هؤلاء الحواريين بالرسل.

وتذكيراً بما سبق من أن دعوة عيسى (عليه السلام) تكون في زمانين مختلفين، زمان مضى، وزمان قادم، فإن منهج السياحة في الأرض سيكون أيضاً في آخر الزمان كما كان في زمن دعوة بني إسرائيل، وتدل على ذلك الأخبار الواردة في ذكر نزول عيسى (عليه السلام)، فقد ورد في صحيح مسلم أن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يطلب المسيح الدجال حتى يدركه فيقتله بباب لد[157]. وباب لد في فلسطين كما في مسند الإمام أحمد: «حتى يأتي فلسطين باب لد»[158].

ومما يدل على تنقلاته في آخر الزمان ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) يحدث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء[159] حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما»[160]. دليل على مجيء عيسى ابن مريم إلى مكة، وإن كان للحج، فإن الدعاة إلى الله لا يعرفون للدعوة وطناً، بل يدعون إلى الله في كل مكان يحلون فيه، فكيف بأنبياء الله عليهم السلام؟!

**إزالة آلة الباطل**

قد يجد الداعية في مجتمع الدعوة أمراً من الباطل، يحتاج الداعية إلى إزالته وتخليص المدعوين منه، ويتمثل هذا في دعوة عيسى (عليه السلام)، فهو يكسر الصليب،ويقتل الخنزير، كما دل عليه حديث نزوله في آخر الزمان، وما يحدث منه عند ذلك، لما في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «والذي

(157) انظر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم 2937. وقال الحموي في معجم البلدان: لُدٌّ بالضم والتشديد قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين، ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله. (معجم البلدان 15/5 ).

(158) المسند 75/6.

(159) قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. (النووي، شرح صحيح مسلم 234/8).

(160) كتاب الحج، حديث رقم 1252.

نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[161].

قال ابن حجر: «قوله فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه»[162].

وعقيدة الصليب من العقائد الأساسية التي يعتقدها النصارى إلى اليوم، وكان منشأ هذه العقيدة من إيمانهم بأن عيسى (عليه السلام) قُتل وصُلب، ولكن الله سبحانه وتعالى رد عليهم بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [163]. وهذا الاعتقاد الذي اعتقده النصارى يدل عل ضعف عقولهم، فكيف يعتقدون صلبه وهم الذين يزعمون أنه الله أو ابن الله على اختلاف بينهم. وما أحسن ما قال الشاعر رداً عليهم في زعمهم:

أعُبَّادُ المسيح لنا سؤال نروم جوابه ممن وعاه

إذا صلب الإله بفعل عبد يهودي فما هذا الإله[164]

وأول من اخترع لهم شارة الصليب هو الملك قسطنطين، زعم أنه رأى في السماء صورة صليب من ذهب، وملَك يقول له: إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك، فإنك غالب بها جميع أعدائك.[165]

وأما ما يتعلق بقتل الخنزير، لأنه نجس محرم الأكل، على النصارى وغيرهم، فهو محرم على النصارى بالتوراة لأنهم مأمورون باتباعها، ولم يأت الإنجيل بنسخ ذلك [166]. فكان في قتل عيسى للخنزير في آخر الزمان فضح للنصارى بما بدلوا وغيروا من أمور دينهم، مثل استحلالهم للحم الخنزير.

---

(161) الجامع الصحيح، كتاب البيوع، حديث رقم 2222.

(162) فتح الباري 493/6.

(163) سورة النساء، الآية 157.

(164) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص 221.

(165) انظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 161.

(166) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، 210. وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 59/1.

**قتال أعداء الله**

كانت دعوة عيسى(عليه السلام) في زمنه لبني إسرائيل دعوة سلمية تقوم على المواعظ والأمثال والزواجر، ولم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على قتاله لأعدائه في ذلك الزمان.

وأما في آخر الزمان عندما ينزل إلى الأرض فإنه يقاتل الأعداء وعلى رأسهم المسيح الدجال، فإنه يطلبه حتى يقتله بباب لُدٍ، كما مر بنا الحديث الذي رواه مسلم[167]. وجاء في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «فينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح، ولو تركوه لذاب حتى يهلك ولكنه يقتله الله بيده فيريهم دمه بحربته»[168].

وبقتل عيسى ابن مريم للمسيح الدجال يخلص الناس من فتنة عظيمة، لما في سنن ابن ماجه (ت جمادى أول رجب صفر هـ) من حديث أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم»[169].

وفي صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»[170]. قال النووي: أكبر فتنة وأعظم شوكة [171].

ولا يقتصر قتال عيسى (عليه السلام) على قتال الدجال فحسب، بل يقاتل اليهود والنصارى في ذلك الزمان، ويدعوهم إلى الإسلام، ولا يقبل منهم غيره، ولا يقبل منهم الجزية أيضاً.

---

(167) راجع ص 41 .

(168) صحيح ابن حبان جمادى أول محرم/ربيع ثان صفر صفر رقم ربيع أول محرم شعبان جمادى ثان. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(169) السنن، كتاب الفتن، حديث رقم 4077.

(170) كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث 2946.

(171) صحيح مسلم بشرح النووي 87/18.

## ثانياً: الأسلوب

الأسلوب: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة.[172]

وعلى أساس التعريف اللغوي يمكن تعريف أسلوب الدعوة بأنه الكيفية التي يتم بها تبليغ الدعوة إلى المدعوين، وإزالة العوائق [173].

وهناك ترابط بين الوسيلة والأسلوب، فإذا قلنا: إن الوسيلة هي الطريقة التي يتم بها التبليغ أو إزالة العوائق، فإن الأسلوب هو الفن، أو كيفية استخدام هذه الطريقة.[174]

ومن الأساليب التي سلكها عيسى (عليه السلام) في دعوته، ما يلي:-

### ضرب الأمثال

ضرب الأمثال أسلوب من أساليب الإيضاح والبيان في الدعوة، إن لم يكن أقواها في إبراز الحقائق المعقولة، في صورة الأمر المحسوس. والغرض من ضرب الأمثال تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيصير غير المحسوس مطابقاً للمحسوس، وذلك هو النهاية في الإيضاح. وضرب المثل هو حالة تشبيه تحدث في النفس حالة التفات بارعة، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس[175].

قال إبراهيم النظام: « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية »[176].

---

(172) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 248/1، مادة [سلب]. والفيومي، المصباح المنير، 304/1، مادة سلب. والمعم الوسيط، مادة سلب 441/1.

(173) انظر: سعيد القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص125. والدكتور علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله 215/1. ومحمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص46. ومحمد عبدالقادر أبو فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص 80.

(174) انظر: الدكتور علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، ص139.

(175) انظر: علي محفوظ، هداية المرشدين، رجب رجب محرم. والبهي الخولي، تذكرة الدعاة، جمادى ثان جمادى ثان. وعبد الوهاب بن لطف الديلمي، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم محرم/ جمادى ثان شوال ربيع أول.

(176) الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم محرم / رجب.

وفي أهمية ضرب الأمثال لتوضيح الأقوال يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): « الأمثال مصابيح الأقوال »[177]

وضرب الأمثال منهج سلكه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعوته كما في حديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها »[178].

ولقد اشتهر ما روي من كلام عيسى (عليه السلام) بضرب الأمثال، ومن ذلك ما ورد عن الحارث الأشعري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن... الحديث»[179]. ففيه نجد أن عيسى ابن مريم (عليه السلام) يضرب مثلاً لما يأمر به أو ينهى عنه، فمَثَّل من يشرك بالله برجل اشترى عبداً من ماله ووضعه يعمل في داره، فكان ذلك العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده. ومَثَّل الصائم بمن معه صرة مسك تفوح ريحها، ومَثَّل المتصدق بالأسير الذي يفتدي نفسه، ومَثَّل الذاكر لله برجل طلبه العدو فاحرز نفسه في حصن حصين.

وفي موضع آخر يضرب عيسى (عليه السلام) لمن يعمل مثلاً، قال عبدالله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى: «اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتم نحن أعظم بطوناً من الطير، فانظروا إلى هذه الأباقير من الوحوش والحمر، فانها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها».[180]

(177) نثر اللآلىء من كلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ( مخطوط )، الورقة محرّم جمادى أول، الوجه محرّم.

(178) متفق عليه: أخرجه البخاري واللفظ له، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم شوال صفر شوال جمادى أول. ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم شعبان رمضان رجب.

(179) سبق الحديث وتخريجه ص 26،28 .

(180) ابن كثير، قصص الأنبياء، 654. وابن المبارك في الزهد ، حديث رقم 848.

ويمثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر، فعن إبراهيم الحربي عن داود بن رشيد عن أبي عبدالله الصوفي قال قال عيسى (عليه السلام): «طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله»[181].

كما مَثَّل علماء السوء بشجرة الدِّفْلى[182] حيث يقول: «يا علماء السوء، جعلتم الدنيا على رؤسكم، والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاء، وعملكم داء، مثلكم مثل شجرة الدفلى، تعجب من رآها وتقتل من أكلها»[183].

## الحكمة في القول

الحكمة: هي الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه[184]. ويمكن القول بأنها عبارة موجزة المبنى جليلة المعنى. والحكمة لها أثر كبير في الدعوة إلى الله، وذلك لجمال ألفاظها، وسمو معانيها، وسهولة حفظها وترديدها.

والكلام الموجز البليغ ذو المعنى الجلي هو صفة كلام الأنبياء عليهم السلام، تصف عائشة (رضي الله عنها) كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتقول: «كان يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه» [185].

وفي رواية عنها قالت: «ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه»[186].

وكان كلام عيسى ابن مريم (عليه السلام) كذلك يجمع البلاغة والإيجاز والوضوح، ولو تأملنا ما حكى الله سبحانه عن عيسى من تلك الكلمات التي نطق بها في المهد حيث

---

(181) ابن كثير قصص الأنبياء، 653.

(182) شجر مُرٌّ حسن المنظر يكون في الأودية، وهي من السموم. (ابن منظور، لسان العرب 245،246/11، مادة [دفل] ).

(183) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 656. وأخرجه أبو نعيم بلفظ آخر في الحلية 279/6.

(184) إبراهيم أنيس ورفاقه، المعجم الوسيط، شوال رمضان محرم.

(185) متفق عليه، أخرج البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، حديث رقم 3567. ومسلم، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم 2493. واللفظ لهما.

(186) أخرجه الترمذي، السنن، كتاب المناقب، حديث رقم 3639. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

يقول: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (187). فهذه الكلمات البليغة الموجزة جمعت معان عظيمة، ففيها بيان لحقيقة نفسه، وفيها بيان لمهمته وشريعته، وفيها بيان لشيء من أخلاقه وصفاته، فضلاً عن أنها رد على تلك التهمة الموجهة إلى أمه.

ومن أمثلة الحكمة قوله: «كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً، فلا يتخذ الدنيا قراراً».(188)

وقوله: «طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية، وانتبهت إلى غير إثم».(189)

وقوله: «طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة. وطوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يُوَرَّثون الفردوس يوم القيامة. وطوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا، هم الذين ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة»(190).

وقوله: «يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم في السماء، فإن قلب الرجل حيث كنزه».(191)

### الترغيب والترهيب

الترغيب من رغب، والرغبة في الشيء هي الحرص على الشيء والطمع فيه(192). والقصد بالترغيب في مجال الدعوة إلى الله هو ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول

---

(187) سورة مريم، الآيات 30-33.

(188) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص76. وذكره ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653. وطارق الطنطاوي، حكم ومواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام، ص 26.

(189) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653.

(190) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع ، ص154.

(191) المرجع السابق، 655.

(192) ابن منظور، لسان العرب 422/1، مادة [رغب].

الحق(193). ويمكن القول بأن الترغيب وعد يصحبه تحبيب بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، مقابل القيام بعمل صالح (194).

والترهيب: من رهب أي خاف(195)، وهو التخويف من حصول مضرة، أو الحرمان من منفعة، دنيوية أو أخروية، عاجلة أو آجلة.

فالترغيب والترهيب أسلوب دعوي يتجاوب مع فطرة الإنسان، من حيث رغبتها في الخير، ونفورها من الشر ورغبتها في السلامة من الضر، في العاجل والآجل، وذلك بتهديدها وتخويفها من حصول ذلك، لتبتعد عن كل ما يكون سبباً في حصول الشر، أو الحرمان من الخير.

وفي مجال الترغيب قالت امرأة لعيسى (عليه السلام): طوبى لحجر حملك ولثدي أرضعك فقال: «طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه».(196)

وقوله: « طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته»(197).

وقوله: « طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت إلى غير إثم»(198).

وفي مجال الترهيب نجد قول عيسى (عليه السلام) كما أخبر عنه المولى سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (199).

**الدعوة بالموعظة**

الوَعْظُ والعِظَةُ والمَوْعِظَةُ: النصح والتذكير بالعواقب، وقال ابن سيده: تذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب.(200)

---

(193) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 423.

(194) انظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 257.

(195) ابن منظور، لسان العرب مُحرّم / جمادى ثان ربيع أول ربيع ثان، مادة [رهب].

(196) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653.

(197) المرجع السابق، الموضع نفسه. وابن أبي الدنيا، كتاب الصمت وآداب اللسان، حديث رقم 15.

(198) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 653.

(199) سورة المائدة، الآية 72.

ونجد في دعوة عيسى (عليه السلام) موعظته لقومه بتقوى الله سبحانه وتعالى، وذلك حين طلبوا منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، كما أخبر بذلك المولى سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (201). قال الطبري: «وأما قوله: ﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فإنه يعني: قال عيسى للحواريين القائلين له: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ راقبوا الله أيها القوم، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا، فإن الله لا يعجزه شيء أراده، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتم مؤمنين! يقول: إن كنتم مصدقي على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾» (202).

---

(200) ابن سيده، المخصص، السفر الثالث عشر، ص 95. وابن منظور، لسان العرب 466/7، مادة [وعظ].

(201) سورة المائدة، الآيتان 112، 113.

(202) جامع البيان 131/7.

# الخاتمة

بعد استعراض دعوة عيسى (عليه السلام) في الكتاب والسنة وجدنا ما تميزت به تلك الدعوة النبوية من مزايا عن بقية دعوة الأنبياء، فهو النبي الذي خلق من غير أب، مما جعل النصارى يقولون فيه أنه ابن الله، وهو النبي الذي نطق بالدعوة وخاطب قومه وهو في المهد، وهو النبي الوحيد الذي لم يمت بل رفعه الله إليه حياً بروحه وبدنه، وسينزل في آخر الزمان بروحه وبدنه.

ودعوة عيسى (عليه السلام) الدعوة الوحيدة التي يدعو فيها النبي في زمانين مختلفين، وهو الزمان الذي بعث فيه (عليه السلام) وتكون دعوته في هذه الفترة لبني إسرائيل، وأما الفترة الثانية التي يدعو فيها فهي آخر الزمان حين ينزله الله سبحانه وتعالى، وتكون دعوته في هذه الفترة لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) ويحكم بشريعته دون أن ينسخ منها شيئاً، وبنزوله في آخر الزمان يقتل المسيح الدجال ويخلص الناس من أعظم فتنة تمر على بني آدم.

ودعوة عيسى (عليه السلام) هي الدعوة التي يزعم آلاف الملايين من البشر في هذا الزمان أنهم أتباعها، وقد كذبوا في ذلك، لأنهم اتبعوا نصرانية محرفة مبدلة، فلم يكن في دعوة عيسى ابن مريم (عليه السلام) تثليث ولا صلب ولا فداء، وهذه الأمور من أصول عقائد النصارى اليوم، التي ابتدعها لهم المحرفون المبطلون.

حتى من زعم أنه اتبع النصرانية الحقة التي كان عليها عيسى (عليه السلام) فليس له ذلك؛ لأنها نسخت بشريعة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على اليهودي والنصراني الذي لا يؤمن به أنه من أصحاب النار حين قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[203].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

# قائمة مراجع البحث

(203) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 153.

1- **الأجوبة الفاخرة**، القرافي، ط1 بيروت، دار الكتب العلمية، 406هـ.

2- **الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان**، ترتيب علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط1(مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ).

3- **أسس في الدعوة ووسائل نشرها**، محمد عبد القادر أبو فارس، ط1(دار الفرقان، الأردن، 1412هـ).

4- **أشراط الساعة**، يوسف الوابل، ط12(دار ابن الجوزي، الرياض، 1420هـ).

5- **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، طمحرم (مطبعة السعادة، مصر، شعبان صفر ربيع أول محرم هـ).

6- **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، عبد الرحمن النحلاوي، ط1(دار الفكر، دمشق، 1979).

7- **أصول الدعوة**، عبدالكريم زيدان، ط3 (دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية).

8- **إغاثة اللهفان**، ابن القيم، تحقيق: محمد عفيفي، ط2 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1409هـ) .

9- **الأنبياء في القرآن**، سعد صادق محمد، ط1(دار اللواء، الرياض، 1402هـ).

شوال محرم- **تذكرة الدعاة**، البهي الخولي، طجمادى ثان (مكتبة الفلاح، الكويت، رمضان رمضان ربيع أول محرم هـ).

11- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، الكشميري، تحقيق ومراجعة وتعليق: عبدالفتاح أبو غدة. (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1385هـ).

12- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ط1(دار الفكر، 1400هـ).

13- **التواضع والخمول**، ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير (دار الاعتصام، القاهرة).

14- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، (نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، 1410هـ).

15- **جامع البيان**، الطبري، ط2(مصطفى الحلبي، مصر، 1373هـ).

16- **الجامع الصحيح**، البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، طمُحَرَّم (المطبعة السلفية، القاهرة، شَوَّال شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم ).

17- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، (دار الكتب العلمية، بيروت، رَبيع أول مُحَرَّم ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

18- **حكم ومواعظ عيسى ابن مريم (عليه السلام)**، طارق الطنطاوي، (مكتبة ابن سيناء، القاهرة، 1412هـ).

19- **الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى**، سعيد علي القحطاني، ط2(1413هـ).

20- **حلية الأولياء**، أبو نعيم، ط3( دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ).

21- **زاد المسير**، ابن الجوزي، طمُحَرَّم (المكتب الإسلامي).

22- **زاد المعاد**، ابن القيم، طرَبيع أول (مؤسسة الرسالة، بيروت، صَفَر شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

23- **الزهد**، ابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (مؤسسة الرسالة، بيروت)

24- **سنن أبي داود**، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، طمُحَرَّم (دار الحديث، بيروت، شَعبان شَعبان رَبيع أول مُحَرَّم هـ).

25- **سنن ابن ماجه**، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (المكتبة الإسلامية، استانبول).

26- **سنن الترمذي**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، نشر(دار إحياء التراث العربي).

27- **سنن الدارمي**، مراجعة: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ)

28- **شرح صحيح مسلم**، النووي، طصَفَر (دار إحياء التراث العربي، بيروت، صَفَر رَمَضان رَبيع أول مُحَرَّم هـ).

29- **الصحاح**، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طرَبيع أول (دار العلم للملايين، بيروت، ربيع ثان شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

30- **صحيح مسلم**، (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، شَوَّال شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

31- **عيسى ابن مريم في ضوء الكتاب والسنة**، منيرة الحبيب، رسالة ماجستير، كلية الآداب للبنات، عام 1407هـ.

32- **فتح الباري**، ابن حجر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تصيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر(رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض).

33- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، ط مُحَرَّم (شركة عكاظ، صَفَر شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

34- **فضائل الصحابة**، الإمام أحمد، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط مُحَرَّم (دار العلم، جدة، رَبيع أول شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ ).

35- **فقه الدعوة إلى الله**، علي عبد الحليم محمود، ط3(دار الوفاء، المنصورة، 1412هـ).

36- **القاموس المحيط**، الفيروز أبادي، (دار الفكر، بيروت، شَعبان رَمَضان رَبيع أول مُحَرَّم).

37- **قصص الأنبياء**، ابن كثير، (دار المعرفة، بيروت).

38- **كتاب الصمت وآداب اللسان**، ابن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ط1(دار العرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ).

رَمَضان رَبيع أول- **لسان العرب**، ابن منظور، (دار صادر، بيروت).

شَوَّال ربيع ثان- **مجمع الأمثال**، الميداني، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، (عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر).

41- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، (دار الكتب العلمية، بيروت، شَعبان شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

42- **مجموع الفتاوي**، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط مُحَرَّم (شَعبان شَوَّال ربيع ثان مُحَرَّم هـ).

43- **مختار الصحاح**، الرازي، ط1(دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م).

44- **المخصص**، ابن سيده، (دار الفكر، بيروت، 1398هـ).

45- **المدخل إلى علم الدعوة**، محمد أبو الفتح البيانوني، ط1 (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ).

46- **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، (دار المعرفة، بيروت).

47- **مسند أبي داود الطيالسي**، ط1 (حيدر أباد، 1321هـ).

48- **مسند أبي يعلى**، تحقيق: الشيخ حسين سليم أسد، ط1 (دار المأمون للتراث، دمشق، 1405هـ).

49- **مسند الإمام أحمد**، ط جمادى أول (المكتب الإسلامي، بيرووت، جمادى أول شوال ربيع ثان محرم هـ).
وكذلك المسند بتحقيق أحمد شاكر، ط ربيع أول (دار المعارف، مصر، شعبان جمادى ثان ربيع أول محرم هـ).

50- **المسيح يعود إلى الأرض ثانية**، محمود الديك، ط1 (الشركة القابضة لمجموعة الحبتور، دبي، 1417هـ).

51- **المسيحية**، أحمد شلبي، ط10 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993).

52- **المصباح المنير**، الفيومي، (مصطفى البابي الحلبي، مصر).

ربيع أول جمادى أول- **معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم**، عبد الوهاب بن لطف الديلمي، ط محرم (دار المجتمع، جدة، جمادى ثان شوال ربيع ثان محرم هـ).

54- **معجم البلدان**، الحموي، ط ربيع أول ( دار الفكر، بيروت، شوال شوال ربيع ثان محرم هـ).

55- **معجم الكبير**، الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط محرم (الدار العربية للطباعة).

56- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين، ونشر د. ا. ي. ونسنك، (مكتبة بريل، ليدن، 1936).

رجب جمادى أول- **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس ورفاقه، الطبعة الثانية.

58- **الملل والنحل**، الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، نشر(دار الفكر).

59- **مناهج الدعوة وأساليبها**، علي جريشة، ط1(دار الوفاء، المنصورة، 1407هـ).

60- **موطأ الإمام مالك**، ط6 (دار النفائس، بيروت، 1402).

61- **ميلاد عيسى (عليه السلام) عند اليهود والنصارى والمسلمين**، مسعود بن سعد الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين بالرياض، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، عام 1406/1405هـ.

62- **النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام.** أحمد عبد الوهاب، ط2( مكتبة وهبه، القاهرة، 1413هـ).

63- **النبوة والأنبياء،** محمد علي الصابوني، ط1 (عالم الكتب، بيروت، 1405هـ).

64- **نثر اللآليء من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه** (مخطوط) مكتبة السليمانية، استانبول، مخطوط رقم 1853، تحت فهرس (أسعد أفندي).

65- **النهاية في غريب الحديث والأثر،** ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1(درا إحياء الكتب العربية، 1383هـ).

66- **هداية الحيارى،** ابن القيم، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الحاج، ط1(دار القلم، دمشق، 1416هـ).

67- **هداية المرشدين،** علي محفوظ، ط5 (دار الاعتصام، 1731هـ).

68- **اليهود في السنة المطهرة،** عبد الله بن ناصر الشقاري، ط1(دار طيبة، الرياض 1417هـ).

# محتويات البحث


تقديم ... مُحَرَّم


## المبحث الأول : الداعي

## عيسى ابن مريم (عليه السلام)


اصطفاء الله لأم عيسى وآل عمران ... رَبيع أول

اسمه ونسبه ... ربيع ثاني

ولادته ... جمادى أول

صفات عيسى (عليه السلام) ... شعبان

الصفات الخُلقية ... رمضان

الصفات الخَلقية ... مُحَرَّم مُحَرَّم

رفعه إلى السماء ... ربيع ثاني مُحَرَّم

نزوله في آخر الزمان ... جمادى أول مُحَرَّم

الحكمة من نزوله ... رجب مُحَرَّم

مدة بقائه في الأرض بعد نزوله ... شعبان مُحَرَّم


## المبحث الثاني : المدعو


جمادى أول جمادى أول

الصنف الأول: بنو إسرائيل

رمضان محرم

الصنف الثاني : أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الزمان

ربيع أول صفر

## المبحث الثالث: الموضوع

العقيدة

جمادى ثان صفر

الشريعة

شعبان صفر

الآداب والأخلاق

شوال ربيع أول

## المبحث الرابع : الوسيلة والأسلوب

أولاً : الوسيلة

ربيع أول ربيع أول

الدعوة بالقدوة

ربيع أول ربيع أول

الدعوة بالدليل والبرهان

ربيع ثان ربيع أول

جمادى ثان جمادى أول

اتخاذ الأنصار

شعبان ربيع أول

السياحة في الأرض

شوال ربيع ثان

إزالة الباطل

محرم ربيع ثان

قتال أعداء الله

ربيع أول ربيع ثان

ثانياً : الأسلوب

ربيع ثان ربيع ثان

ضرب الأمثال

ربيع ثان ربيع ثان

الحكمة في القول

جمادى ثان ربيع ثان

الترغيب والترهيب

رجب ربيع ثان

الدعوة بالموعظة

رمضان ربيع ثان

رجب جمادى أول

# الخاتمة

شوال جمادى أول

# قائمة مراجع البحث

محرم جمادى أول